الطفل التوحدى المفترى عليه ما له وليس ماعليه

لاشك أن الإعاقة بأنواعها المختلفة تعتبر من القضايا المهمة التى تواجه المجتمعات المعاصرة الآن لأنها قضية إنسانية ذات أبعاد مختلفة قد تؤدى إلى عرقلة مسيرة التنمية والتقدم داخل هذه المجتمعات وذوالاحتياجات الخاصة يمثلون فاقداً إنسانياً وتربوياً فى عملية الاستثمار وخاصة فى مجال الإعاقة داخل هذه المجتمعات .

د . ابراهيم المغازى
قسم علم النفس
جامعة بورسعيد

لذا فإن رعاية هؤلاء الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة بصفة عامة والتوحديون منهم بصفة خاصة أصبحت أمراً مهماً وملحا تحتمه الضرورة الاجتماعية والإنسانية تحت بند التدخل المبكر للعلاج من هذه الإعاقة فى مجال النمو الإنسانى حتى يتسنى لهم الاندماج مع أقرانهم العاديين فى المجتمع وإلى أقصى حد تسمح به قدراتهم واستعداداتهم وميولهم الشخصية والنفسية ويجعلهم قادرين على المشاركة فى عملية التنمية داخل هذه المجتمعات وفئة التوحديين من فئات الإعاقة التى بدأ الاهتمام بها حديثاً لأنها من الإعاقة النمائية التى تؤثر على النمو الإنسانى فى مراحله المختلفة والتى تؤدى إلى انسحابهم وعزلتهم عن الآخرين فى المجتمع وانغلاقهم على أنفسهم لذا ينظر إلى إعاقة التوحد على أنها منفصلة عن بقية الإعاقات الأخرى حيث تنتشر الإصابة بين كل طفلين من عشرة آلاف طفل.

ويعود الفضل إلى الطبيب النفسى «ليوكانر» فى إدخال مصطلح ومفهوم التوحد إلى التراث النفسى حيث قام بوضع مجموعة من المعايير التشخيصية للتوحد وذلك فى عام ١٩٤٣ ثم تبعه روتر ١٩٦٨ وأخيراً وثيقة كريك التى تتحوى على ٩ نقاط فى عملية التشخيص للتوحد.

وقد قام «ليوكانر» عام ١٩٤٣ بدراسة نفسية على ١١ طفلا من التوحديين وتوصلت دراسته إلى مجموعة من الصفات الشخصية للتوحدين تتمثل فى الآتى: العزته الاجتماعية ،عجز فى عملية التواصل والتفاعل الاجتماعى وضعف التخيل، نقص فى المهارات الاجتماعية واللغة - السلوك القصرى التكرارى الاستحواذى الاضطرارى- التأخر فى عملية اكتساب الكلام لذا أطلق عليهم بأنهم يتسمون بالتوحد الطفولى كما أنهم يعانون من مشاكل وصعوبات فى اللعب التخيلى ويكرهون اللعب الجماعى ويميلون إلى اللعب الفردى الانعزالى .

ثم أضاف روتر ١٩٦٨ خصائص أخرى مثل :

إعاقة فى العلاقات الاجتماعية- نمو لغوى متأخر - سلوك تكرارى طقوسى استحواذى - الاصرار على التماثل لإصابة بالتوحد قبل ثلاث سنوات - من عمره الزمنى فى مرحلة الطفولة المبكرة- إعاقة فى عملية التواصل البصرى - يمشى على أطراف أصابع قدميه - عدم فهم مشاعر الآخرين وقد ارجع علماء النفس الإصابة بالتوحد إلى الأم الثلاجة أى البادرة عاطفياً ووجدانيا أو إلى خلل جينى كروموسى وخاصة فى مرحلة المهد والطفولة المبكرة كما أنهم يعانون من عدم فهم اللغة حيث يكرر التوحدى الكلام ولديهم صعوبة فى استخدام الضمائر فمثلا لايقول: أنا أريد أن أشرب، بل يقول إن إبراهيم يريد أن يشرب ويكرر الكلام لبعض الكلمات بشكل غير وظيفى وهذا يسمى بالمصاداة الكلامية أى الترديد المرضى للكلام وعدم استخدامه فى سياقه الاجتماعى الصحيح.

كما يتميز التوحد بالسلوك النمطى التكرارى الاستحواذى مثل تموج الأصابع -فرك اليدين -لف الأشياء الدائرية رفرفة اليدين- اهتزاز الجسم -طفطفة أمام العينين - السلوك الروتينى النمطى فى المأكل واللبس . رفضه لأى تغيير داخل غرفة نومه ويثور لهذا التغيير- رتابة فى اللعب .

وإليك أيها القارئ الكريم بعض الإرشادات النفسية التى تساعد فى تعلم وتدريب الأطفال التوحديين.

- اعتمادهم على التفكير المرئى . تبادل الصور للتواصل البصرى بدلا من اللغة الكلمات.
- تجنب استخدام كلمات كثيرة لأنهم لديهم مشكلات فى عملية التذكر واستخدام الكلمات
- تشجيع المواهب لديهم وخاصة فى مجال الرسم والفن والموسيقى والكمبيوتر
- لديهم حساسية من الضوضاء
- يستجيبون بشكل أفضل إذا تواصل معهم المعلم أو الأسرة أو جماعة الرفاق
- تعتبر حاسة اللمس لديهم من أكثر الحواس فاعلية لذا يمكن تعليمهم وتدريبهم بتعويدهم على لمس لحروف .
- قيام الأم بتقليد الطفل التوحدى يساعده على التواصل البصرى.
- فى حالة استخدام الكمبيوتر يجب وضع لوحة المفاتيح فى أقرب مكان للشاشة. كما أن هناك برامج تربوية ونفسية وعلاجية مثل برنامج لوفاس الذى يعتمد على التحليل السلوكى التطبيقى لتنمية بعض المهارات.. برامج العلاج المهنى القائمة على التكامل الحسى للحواس والتى تعتمد على الجهاز العصبى.. برامج التعليم للأدب الاجتماعى مثل رد التحية - المجاملات - الوداع... إلخ ...

وطريقة التواصل الميسر التى تعتمد على لوحة مفاتيح يقوم التوحدى باختيار حرف مناسب لتكوين جملة تعبر عن مشاعره وعواطفه .

فهل حان الوقت لرعاية هؤلاء الأطفال الذين هم ثمرة الآباء والأمهات لأنهم سند لهم فى الدنيا وزخر لهم فى الآخرة وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾. سورة النساء (٨)